واقع التراث المعماري في عدن وحضرموت في أثناء حرب ٢٠١٥م وما بعدها (دراسة بعض الحالات – خصائصها وكيفية ترميمها والحفاظ عليها)

أ.د.محمد بن هاوي باوزير•

الملخص:

التراث المعماري هو المرآة التي تعكس ماضي وحاضر الأمم، والشعوب، وأن عمليات البناء والتعمير، هي الرمز المادي للحضارة الإنسانية، وكذا رموزها الروحي، المعبر عن الثقافة والفكر. ولاشك أن عدن وحضرموت تتميزًا بغنى تراثها، وأنماطها المعمارية المتنوعة، الدينية، والمدنية، و العسكرية . ولعل الهدف من وراء هذه الدراسة هو تقصى خصائص هذا التراث المعماري، وإبراز أهمية، و إرتباطه بتاريخ وهوية عدن وحضرموت، وبيان مايتهدده من عوامل الإندثار، وما تعرّض له من الدمار في أثناء حرب ٢٠١٥م، وما يتعرض له حالياً (بعد الحرب) من العبث والاهمال بقصد أو بغير قصد، وكيفية وطرق الحفاظ على التراث المعماري بوصفه جزءًا مهماً من الإرث الحضاري؛ لأن إندثار هذا التراث يعني ضياع للتاريخ والهوية.

وفي هذا السياق يهدف البحث إلى إبراز وضع التراث المعماري المهدد بالإندثار، بسبب الحروب وعوامل أخرى، وسُبل حمايته وترميمه، والحفاظ عليه. ويهدف البحث أيضاً إلى لفت إنتباه السلطة المركزية والمحلية، وغيرهم من الجهات المعنية في بلادنا لإيلاء العناية لهذا التراث وحمايته والحفاظ عليه.

الكلمات الدالة :

تراث معماري يستغيث، تقييم المخاطر ، سُبل الحماية .

• أستاذ تاريخ اليمن والجزيرة العربية القديم – كلية الآداب mabawazir@hotmail.com

المنارة للاستشارات
www.mar

المقدمة:

تزخر العديد من المناطق في جنوب الجزيرة العربية بشكل عام، وعدن وحضرموت بشكل خاص، بالعديد من المعالم المعمارية العتيقة، وهو تراث أمة وشعب حضاري، شهد قمة التاريخ بعظمة إنجازاته الحضارية عبر تاريخه الطويل، وقد استطاع بعض من هذا التراث المعماري أن يصمد للبقاء والاستمرار، في حين نجد الكثير منه مهددًا بالخطر، إما بالانهيار والزوال، وإما بزيادة درجة الخطورة التي عليه، وذلك بسبب عوامل كثيرة، ومن أخطرها الحروب.

وتسعى هذه الدراسة إلى الخروج بتصور عن وضع التراث المعماري في عدن وحضرموت في أثناء حرب ٢٠١٥م وبعدها، لذا لابد من التأكيد على دور المجتمع العدني والحضرمي في المحافظة على تراثهم العمراني؛ إذ أنه يجسد القيمة الحقيقية لوجوده على أرضه، وتاريخه العريق؛ حيث استهدف تراثهم المتنوع بشكل كبير في أثناء الحرب الظالمة وبعدها،التي فرضت على البلاد أولاً (حرب مارس ٢٠١٥م)، ومن ثم المجتمع المحلي ودوره السلبي في الحفاظ على تراثه، وقد تبيّن من خلال هذا البحث سوء حالة التراث العمراني بسبب العبث الذي يتعرض له، بقصد أو بغير قصد، لعدم تفعيل القانون الذي يحمي هذا الموروث، إذن لابد من إتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة، في محاولة لوقف هذه الاعتداءات الفردية، التي يتعرض لها التراث العمراني وخاصة في عدن، وكذا وقف التدهور لهذا التراث والحد منه. وأخذ المعالم الأكثر خطورة والبدء فيها ومحاولة توفير الدعم المادي والفني لترميمها والحفاظ عليها.

- **أهداف الدراسة ومنهجيتها:**

تهدف هذه الدراسة لإظهار التراث العمراني في عدن وحضرموت، والتركيز على المهدد بالاندثار والتدمير جراء ما تعرض له في أثناء حرب ٢٠١٥م وبعدها، بالإضافة إلى قلة الوعي الكافي للمواطنين، الذين استغلوا ظروف الحرب وقاموا بالاعتداء على بعض منها، وهدمها بهدف المتاجرة بالأرض أو استخدامها للبناء الشخصي.

المنارة للاستشارات
www.mar

أما منهجية الدراسة فتعمد المنهج الوصفي القائم على توصيف الحالة الدراسية وتحليلها، بالإضافة لبعض المشاهدات، التي يتم من خلالها إعطاء بعض الوصف للتراث المعماري المستهدف، وكذا من خلال بعض المقابلات الشخصية.

- التراث العمراني:

تعريفه:

عرف في مسودة التراث العمراني للدول العربية هو كل ما شيّده الإنسان؛ من مدن، وقرى، وأحياء، ومباني، ومرافق ذات قيمة أثرية، او عمرانية، أو تاريخية، او ثقافية، أو غير ذلك. أما الأخطار التي تحيط بتراث جنوب الجزيرة العربية عامة، والإرث العدني والحضرمي خاصة، في أثناء حرب ٢٠١٥م وبعدها، وحتى اليوم، فلعل أهمها الأخطار السياسية والقانونية:

الأخطار السياسية:

إن استمرار الاضطرابات السياسية العسكرية في شمال اليمن وجنوبه لمدة تزيد عن أربع سنوات أثّر بشكل كبير على وضع التراث المعماري في عموم البلاد، وقد تسببت الحروب التي شهدها الجنوب منذ عام ١٩٩٤م، وحتى اليوم وعلى وجه الخصوص حرب ٢٠١٥م، في تدهور هذا الإرث في عدن وحضرموت وغيرها من المناطق الجنوبية واندثاره.

لذا فالمحافظة على هذا التراث، يحتاج للوقفة الجادة من السلطات المحلية ومؤسساتها، والمؤسسات الدولية، وكذا دور المجتمع وأهميته في الحفاظ على موروثة المعماري المهدد بالاندثار.

المنارة للاستشارات
www.mar

الأخطار القانونية:

إن قوانين حماية التراث المعماري الدولية والعربية والمحلية موجودة[١]، وفي السابق كان يعمل بها إلى حد ما، أما الآن وخاصة منذ حرب مارس ٢٠١٥م، فالقوانين غير مفعّلة مما يعني أن كل ما هو موجود الآن من الإرث العدني والحضرمي ليس من المحميات، ويتعرض يوميًا للعبث بقصد أو بغير قصد. حتى التراث المعماري، وكذا الأثري في العالم العربي، يستغيث منذ ما يعرف بالربيع العربي الذي اجتاح أجزاء واسعة من بلادنا العربية فمثلاً: الوجود الصهيوني في فلسطين وعدوانهم المستمر على أهل غزة منذ سنين طويلة وما ترتب على ذلك من ضحايا بشرية، وتدميرًا للإرث المعماري الفلسطيني[٢]، ولا زال مستمر، وكذا غزو العراق عام ٢٠٠٣م، والحملات الأمريكية الحاقدة عليه، والتركيز منذ البداية على آثار ومعالم العراق التاريخية وتدميرها ونهبها[٣]، وهاهي دول عربية أخرى تعاني من ذلك منذ انطلاق الربيع العربي المشئوم، وحتى اليوم وكلنا نشاهد يوميًا ما تتعرض له شعوبنا العربية من قتل ودمار ممنهج في العراق، وسوريا، وليبيا، واليمن، فإلى جانب الضحايا البشرية، وتدمير البنية التحتية أيضًا يتعرض الموروث المعماري للنهب والتدمير، وهذا يعني ان الهوية الوطنية لهذه البلدان في خطر، لذا لابد من السعي الحثيث على المستويات جميعها؛ للمحافظة على هذا التراث العمراني وإلا سيندثر، وبالفعل شهدت بعض البلدان العربية قيام فعاليات تهدف لوقف العبث الذي يتعرض له ذلك الإرث.

فشهدت عدن وحضرموت بعض الفعاليات الهادفة لحماية الموروث المعماري، والحفاظ عليه، فقد أقام مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر ومركز حضرموت

---

[١] جمال عليان، الحفاظ على التراث الثقافي، كتاب سلسلة عالم المعرفة، العدد(٣٢٢)، وزارة الثقافة، الكويت، ٢٠٠٥م، ص٥٧ وما بعدها، محمود البنا،"تحديد ملامح أصالة التراث المعماري مدخل ضروري لصيانته- تطبيقًا على صنعاء القديمة، مجلة كلية الآداب، العدد(٢٨)، جامعة صنعاء ١٩٩٣م ص١١٧-١٣٣

[٢] حسن نعيرات، "واقع التراث المعماري الفلسطيني بين التدمير والتزوير" من كتاب المؤتمر الدولي للعمارة والفنون الإسلامية، ط١، دار جامعة صنعاء، ٢٠١٤م، ج١ ص٣٣٧ وما بعدها

[٣] فرج الله أحمد يوسف، ٢٠٠٧م، آثار فلسطين والعراق، الطبعة الأولى، القاهرة، ص١١ وما بعدها

المنارة للاستشارات
www.mar

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر عدة فعاليات في العامين (٢٠١٧-٢٠١٨م)، في عدن وحضرموت حول المخاطر الذي يتعرض لها الإرث المعماري، وخاصة في فترة حرب ٢٠١٥م، وحتى اليوم وكيفية حمايته والحفاظ عليه[٤]، وشهدت ليبيا عدة فعاليات بشأن حماية الإرث الأثري والتاريخي الليبي والذي لا يزال يتعرض للخطر، فمثلاً مركز القانون الدولي الإنساني وبمناسبة اليوم العالمي للمواقع الأثرية والتاريخية ينظم المؤتمر الدولي الأول بعنوان " حماية الآثار والمباني التاريخية أثناء وبعد النزاعات المسلحة "يومي ٢٥-٢٦ أبريل ٢٠١٨م بقاعة عمر المختار – ليبيا. ومؤتمر آخر بعنوان" الحماية القانونية للتراث العمراني " يومي ٢٣-٢٤ يناير ٢٠١٨م- ليبيا[٥].

وعدة ورش عمل ومحاضرات، ومنها ورشة عمل بعنوان "قانون حماية الآثار والمدن التاريخية" يومي ٢٧-٢٨ مارس ٢٠١٨م تحت رعاية مصلحة الآثار الليبية وجامعة عمر المختار، إلى ذلك قيام الليبيين برصد الكنوز الأثرية المنهوبة في زمن الحرب الدائرة فيها حتى اليوم وتهريبها للخارج[٦] .

ولا شك أن العديد من البلدان العربية شهدت مثل هذه الفعاليات الساعية لحماية التراث والحفاظ عليه.

إطلالة على التراث المعماري في عدن وحضرموت في أثناء حرب ٢٠١٥م وبعدها:

يعد التراث الحضاري والفني المعماري في جنوب الجزيرة العربية بشكل عام، وعدن وحضرموت بشكل خاص، سجلاً حافلاً لإبداع أمة وشعبًا، ورمزًا لعبقريته، وذاكرة حافظة لقيمتها، وهويتها المتفردة، بل تتميز عدن وحضرموت بغنى تراثها وأنماطها المتنوعة، الدينية والمدنية والعسكرية، ويقع الكثير من هذا الإرث في قبضة الدمار.

---

[٤] الندوة العلمية، يناير ٢٠٠٨م،"العمارة اليمنية وتحديات العصر"، وفي كتاب الندوة، دار جامعة عدن، عدن؛ والجمعية اليمنية التاريخية، أغسطس ٢٠٠٨م، ورشة عمل بعنوان"عدن محمية تاريخية".

[٥] مركز القانون الدولي الإنساني(IHLC)، أبريل ٢٠١٨م، طرابلس- ليبيا (WWW.Ihic.Org.ly).

[٦] المرصد الافريقي- عين على الأحداث، مارس ٢٠١٨م، نشرة أسبوعية خاصة من بوابة أفريقيا الأخبارية، العدد(١٨)، ليبيا.

المنارة للاستشارات
www.mar

أولًا: التراث المعماري العدني:

عدن من المناطق التاريخية المهمة المتميزة بمبانيها ومعالمها التاريخية، وطرزها المعمارية الفريدة والمتنوعة. وقد تعرض الكثير من هذا الإرث المعماري – عبر التاريخ – للعبث بقصد أو بغير قصد، ونحن بصدد الموروث الذي يتعرض حاليًا للعبث والإهمال، بل وإبراز ما تعرض منه للتدمير في اثناء حرب ٢٠١٥م وما بعدها.

– مبنى المتحف الحربي:

يقع هذا المبنى وسط مدينة عدن (كريتر) إلى قبل ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي، ومنذ العام ١٨٦٦م استخدم هذا المبنى كمدرسة من المدارس الحكومية تحت مسمى مدرسة (الريسيدينسي)؛ أي: مدرسة الإقامة، وقد ظل هذا المبنى كمدرسة حكومية وقسمت المدرسة إلى قسمين: قسم ابتدائي وقسم ثانوي[٧].

وهكذا استمر الحال حتى الاستقلال الوطني ١٩٦٧م، ثم تحوّل المبنى إلى متحف متخصص بالتراث العسكري لجنوب اليمن. ويتألف هذا المبنى (المتحف) من سبع صالات توجد فيها أكثر من خمسة آلاف قطعة أثرية تاريخية لعصور متعاقبة من عصور ما قبل التاريخ، فالعصر القديم والإسلامي، حتى عصر الاحتلال العثماني ثم البريطاني وسيادتهما، كما يضم أعمالاً يدوية ولوحات زيتية جميلة، ومعروضات للتاريخ العسكري لحقب مختلفة وأبرزها حقبة الاستعمار البريطاني، وصورًا للثوار خلال فترة التحرير من السيادة البريطانية.

يعد هذا المبنى تحفة من الطُرز المعمارية الفريدة في عدن، ويبدو أنه من نوع العمارة الهجينية (Hrbrid Architecture)، التي دخلت عليها التيارات المعمارية الهندية، أي أنه خليط بين النمط التقليدي المحلي والنمط الهندي .. والمبنى ما زال شامخًا ومتينًا، إلا أن أجزاء منه تعرضت للدمار بسبب الحرب التي شهدتها البلاد في

---

[٧][٧] بلال غلام حسن، ٢٠١٣م، زوايا من تاريخ ولاية عدن(١٨٣٩–١٩٦٧م)، ط٢، جرافيك للطباعة والإعلان، عدن– خورمكسر. ص٦١–٦٢

المنارة للاستشارات
www.mar

٢٠١٥م،(شكل(١) مبنى المتحف قبل وبعد الحرب)، كما تعرضت المقتنيات الأثرية والتاريخية في هذا المبنى للعبث والسرقة.

- مبنى رصيف السواح:

مبنى رصيف السواح في مدينة التواهي، ويعد ميناء عدن الشهير، والمشهور برصيف السواح، كما يسمى هذا الرصيف برصيف الأمير ويلز تيمنًا بزيارة الملك إدوارد الثامن أمير ويلز لعدن في ١٢ نوفمبر ١٩٢١م[٨].وقد زار عدن بحرًا العديد من الملوك والأمراء والزعماء وأجريت لهم المراسيم الملكية في هذا الرصيف، وكذا الزعيم الهندي المهاتما غاندي كان ممن زاروا عدن(٣ سبتمبر ١٩٣١م)،[٩].

ويعود بناؤه إلى العام ١٩٠٥م، ويتميز بطرازه الجميل وسقفه القرمذي، وبُنى بنمط بوابة ميناء مومباي الهندية نفسها، وقد كان هذا المعلم المعماري هدفًا للقصف العسكري بسبب تمترس قوات الحوثة وصالح فيه، وقد وصلت نسبة التدمير فيه إلى ٩٠% وتحول سقفه القرمذي البديع إلى حطام متناثر(شكل(٢) مبنى الرصيف قبل وبعد الحرب).

- مبنى شرطة الشيخ عثمان:

يعود بناء هذا المبنى العتيق لأكثر من مائة عام تقريبًا، وما يميزه هو القلعة التي تتوسط المبنى، ويعد هذا المبنى جزءًا من تاريخ مدينة الشيخ عثمان بعدن، ويجب الحفاظ عليه. ونظرًا لتوسّع المدينة وإزدياد عدد أحيائها، أصبح مركز الشرطة الكائن في هذا المبنى، غير قادر على تلبية الاحتياجات للعمل الشرطوي، والانتقال لمبنى آخر .. وهو الأمر الذي جعل المبنى القديم عرضة للاعتداء والبسط، وبالفعل تم ذلك من قِبل بعض المتنفذين مستغلين ظروف الحرب، التي تعيشها البلاد(حرب ٢٠١٥م)، والتدخل في بنائه، وتحويل أجزاء كبيرة منه إلى محلات تجارية .. وها نحن أمام معلم معماري عدني يستغيث (شكل(٣)المبنى بعد الاعتداء).

---

[٨] بلال غلام حسن، زوايا من تاريخ ولاية عدن ، ص٢١٦-٢١٧

[٩] بلال غلام حسن، زوايا من تاريخ ولاية عدن ص٢٢٣-٢٢٨

المنارة للاستشارات
www.mar

- **دور العبادة:**

كان التسامح الديني في عدن من أبرز السمات، التي تتميز بها عدن؛ حيث تميزت عدن بوجود تسامح ديني منذ القِدم، وتعددت فيها الأديان وتعايشت أقوامها، فإلى جانب الدين الإسلامي أديان أخرى كاليهودية، والمسيحية، والفارسية، والهندوسية، وقد شيّد أتباع هذه الديانات دور عبادتها لممارسة شعائرهم الدينية، بل تميزت العلاقات بين هذه الديانات بالحميمية، وتعايشوا بروح المحبة والتسامح جنبًا إلى جنب[١٠] .

أما عن دور العبادة فهي عديدة، فإلى جانب المساجد، الكنائس ومعابد اليهود والفرس والهندوس، وعبر تاريخ عدن الطويل اندثرت الكثير من هذه الدور الدينية، وبقي بعضها صامدًا حتى اليوم، ولكنه بحاجة للعناية، والحفاظ بين الحين والآخر، ولاشك أن هذه الدور جزءًا مهمًا من تراث عدن المعماري وتاريخه وهويته.

أ- الكنائس:

بنيت في عدن العديد من الكنائس، ولازال بعضها قائمًا، ويتعرض بين الحين والآخر للعبث والتدمير[١١]، ولعل آخرها كنيسة القديس يوسف الكاثوليكية(سانت جوزيف)، في حي البادري بكريتر والتي بنيت عام ١٨٥٢م على يد الكاردينال (جيب اسيا)، وقد تعرضت هذه الكنيسة للاعتداء بعد حرب ٢٠١٥م إذا قامت عناصر مجهولة مستغلة ظروف الحرب وانشغال الدولة بالحرب مع الحوثة وقوات صالح وما خلفته من أضرار، فقامت هذه العناصر بتدمير وحرق هذه الكنيسة، أيضًا تعرضت العديد من كنائس عدن للاعتداء والعبث بمبانيها ومحتوياتها في الداخل.(شكل(٤) وضع كنيسة سانت جوزيف).

---

[١٠] حامد عبد القادر بافقيه، "التسامح الديني في عدن"، كتاب الندوة العلمية(عدن بوابة اليمن الحضارية)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠١١م، ص١٣٩-١٤٩

[١١] غلام ، زوايا من تاريخ ولاية عدن ص٤٥٢-٤٦٠

المنارة للاستشارات
www.mar

ب- معابد أخرى:

الكثير من معابد اليهود والفرس والهنود قد اندثرت بفعل عامل الزمن وما بقى منها يتعرض من حين لآخر للاعتداء من قبل جماعات مجهولة[١٢].

ج- **المساجد:**

عدن عامرة بمساجدها الضاربة جذورها في ضحى الإسلام، ولم تقتصر مساجد عدن على الصلاة وحدها، بل شهدت كثير من المساجد حركة علمية مثمرة، وكثير من مساجدها العتيقة أصبحت أثر بعد عين؛ أي: أنها في عداد المندثرة، ورغم ذلك ظلت عدن عامرة بالمساجد والحديث عنها ليس مجاله في بحثنا هذا[١٣].

أن كثير من هذا التراث المعماري الديني يتعرض للعبث والتعديات بقصد أو بغير قصد، وعلى سبيل المثال مسجد أبان، وهو واحدٌ من أقدم المساجد، ويعود تاريخه إلى القرن الثاني الهجري، وإلى عهد قريب (١٩٩٥م)، ظل محتفظاً بطرازه المعماري التقليدي وبزخارفه الجميلة على أبوابه ولكنه تعرض للهدم تحت مبرر توسعته وحلّ محله مبنى عصري حديث.[١٤]

والمساجد العتيقة الأخرى في حالٍ لا يسر بسبب الإهمال أو التربص ببعضها؛ لهدمها وطمس طرازها المعماري التقليدي، واستبدالها بعمارة دينية حديثة، كما يحدث اليوم لمسجد حامد بالزعفران بكريتر؛ حيث تم هدمه بالكامل، واستبداله بعمارة دينية عصرية ولعدة أدوار (شكل (٥) مسجد حامد بكريتر قبل الهدم وبعده).

---

[١٢] غلام ، زوايا من تاريخ ولاية عدن ص ص٤٥٦-٤٦٠

[١٣] أحمد صالح رابضة،"المؤسسات الدينية والتعليمية ومؤثراتها الثقافية والاجتماعية في مدينة عدن القديمة ما بين القرن ٢-١٠ الهجريين"، كتاب الندوة العلمية(عدن بوابة اليمن الحضارية)، دار جامعة عدن٢٠١١م، ص٢٠٧-٢٠٨، محمد زكريا، ، مساجد عدن- نشأتها- تطورها وخصائصها، ط١، مركز عبادى للدراسات والنشر، عدن١٩٩٨م، صـ ٧-٣٠

[١٤] رابضة، "المؤسسات الدينية والتعليمية، ص٢٠٧-٢٠٨، زكريا، مساجد عدن، صـ ٧-٨.

المنارة للاستشارات
www.mar

أما مسجد الحسيني التابع للطائفة الاثني عشرية، الواقع على طريق العيدروس بكريتر، والمعروف بمسجد الخوجه، ويتجاوز عمره لأكثر من ١٣٠ عامًا، ويعد من أبرز معالم عدن المعمارية، ويبدو أن القوات الحوثية قد تمترست فيه، ما جعله عُرضة للقصف العسكري في حرب ٢٠١٥م، فتهدمت أجزاء منه، وبعد تحرير عدن من الحوثة تعرّض ما تبقى منه للهدم، من قبل عناصر مجهولة تحت حجة أنه مركز من مراكز الشيعة الحوثيين (شكل(٦) المسجد قبل الحرب وبعدها).

- مباني المدارس:

من المباني المدرسية العتيقة والتي وقعت في قبضة العبث والدمار هي:

أ- مدرسة أبناء السلاطين والمشائخ:

مدرسة ابناء السلاطين والحكّام والمشائخ، في جبل حديد، افتتحت في العام ١٩٣٥م، ودرس فيها العديد من أبناء حكومة الاتحاد في ظل السيادة البريطانية، ومعظم خريجي هذه المدرسة أصبحوا حكّام في بلادهم، ووزراء في الحكومات المتعاقبة في حكومة الاتحاد[١٥]وقد استخدم هذا المبنى في ظل السيادة البريطانية كواحدة من المنشآت الدفاعية ضد الهجمات التي كان يتعرض لها الجنود الانجليز من الجانب البري، ومن ثم أُستخدِم كمقر لقيادة معسكرات البرزخ، ثم مطعم لضباط الوحدة الهندية .. وأخيرًا تحوّل المبنى إلى مدرسة، وسكن داخلي للطلاب من أبناء الحكّام والسلاطين .. وها هو المبنى الآن عُرضة للعبث والإهمال، بل للاعتداء على المبنى وتحويل أجزاء منه كمساكن شخصية (شكل(٧) مبنى مدرسة جبل حديد).

ب- مدرسة بازرعة:

تأسست مدرسة بازرعة الخيرية في كريتر- شارع العيدروس في العام ١٩١١م، ومؤسسها الشيخ محمد عمر بازرعة، وقد قام آل بازرعة بهدم البناء القديم، وإعادة بنائه في عام ١٩٤٥م، وقد تعرضت للهدم بسبب حرب ٢٠١٥م، التي فرضها الحوثة وصالح على عدن، وها هم آل بازرعة يقومون بإعادة بناء المدرسة على نفقتهم.

[١٥]غلام ، زوايا من تاريخ ولاية عدن ص ٦-٩١

المنارة للاستشارات
www.mar

ثانيًا- التراث المعماري الديني الحضرمي:

حظي الإرث المعماري الحضرمي باهتمام كثير من الباحثين المستشرقين منهم والعرب، ولا سيما الأنماط المعمارية ذات الطابع الديني كالمساجد والأضرحة والقباب والمنارات والأسبلة، ومنهم: الباحث الأمريكي(د.إنج سنج هو)، الأستاذ المشارك في جامعة هارفارد الأمريكية الذي عنون كتابه (Tarim The Graves) (قبور أو أضرحة تريم- ٢٠٠٦م)، وكذا الباحث الياباني (كازو هيرو أراي)، قام بدراسة بعض المعالم المعمارية الدينية الحضرمية، وانتهت بإعداد كتاب عن قباب حضرموت الدينية (٢٠٠٦م)، وقد قام هذا الباحث بزيارة العديد من القباب، وتوثيق أكثر من مائة قبة وضريح وتصويرها .. ولعل أهمية تلك العمارة الدينية في نظر هؤلاء الباحثين ليس في مجرد بنائها الهندسي والمدني فحسب، بل فيما عكسته من مجالات ثقافية ومتنوعة، وهذا سرَّ اهتمام الباحثين والكتّاب الأجانب.[١٦]

أما دراسة الحالة الحضرمية التي تم اختيارها في بحثنا هذا، فهي الأنماط والمعالم المعمارية الدينية التي تعرضت للاعتداء والهدم والاندثار في فترة الحرب، التي فرضها المعتدين الحوثة وقوات صالح على البلاد في العام ٢٠١٥م.

المكلا .. ضريح يعقوب:

الشيخ يعقوب بن يوسف باوزير الجد الأول لآل باوزير المولود في بغداد في نهاية القرن الخامس الهجري، رحل يعقوب وأبناؤه الثلاثة؛ عمر، ويوسف، وعبدالله، وحفيده سالم بن عبد الله، من العراق قاصدين الحجاز لأداء فريضة الحج، وبعد قضاء مناسكهم اتجهوا إلى جدة حيث ركبوا سفينة شراعية كانت مسافرة إلى بلدان المحيط الهندي وبحر العرب، وفي رحلتهم البحرية ساءت الحالة الصحية للشيخ يعقوب، وعندما اقتربت من ساحل حضرموت طلب من أولاده النزول فكان ذلك في قرية الخيصة (الخيصة هو الاسم القديم للمكلا)؛ حيث وافته المنية، هناك ودفن بها(مقبرة يعقوب)، وكان بها ضريح أو قبة يعقوب

[١٦] محمد بن هاوي باوزير، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، ط١، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن ٢٠١٤م، ص١٤٧-١٥٠

المنارة للاستشارات
www.mar

المشهورة، والجدير بالذكر أن بعض حكّام المكلا، ومنهم بعض سلاطين الدولة القعيطية، قد تم دفنهم بجوار الشيخ يعقوب، ويعد هذا المبنى المقبب أقدم إرث معماري ديني لأهل المكلا عامة، وآل باوزير خاصة.[١٧]

وقد تعرض هذا الإرث المعماري للاعتداء من قبل جماعات تكفيرية، وقامت بهدم هذا الضريح وتسويته بالأرض مستغلين غياب الدولة المنشغلة بحرب مارس ٢٠١٥م، التي أشعلها الحوثة، وقوات صالح (شكل(٨) ضريح الشيخ يعقوب وقبته قبل وبعد الحرب)، بالإضافة إلى ذلك اعتدت الجماعات نفسها على قبة المحجوب وضريحه بالمكلا، ومعالم معمارية عتيقة أخرى في مدينة المكلا، ومدن أخرى في حضرموت.

غيل باوزير:

لا زال الكثير من التراث المعماري المدني والعسكري والديني، قائمًا في غيل باوزير، ولو أن بعضه في العقود الأخيرة، ومع تطور مناحي الحياة العصرية، قد تعرض للعبث ومن ثم الهدم بسبب الاهمال أو المتاجرة بالأرض.. ونحن هنا بصدد تراث غيل باوزير المعماري الديني، كالمساجد ومناراتها، والأضرحة وقبابها، ومنها:

- مسجد جامع النقعة:

يقع المسجد في منطقة النقعة بضواحي غيل باوزير شمال المدينة، وهذا المعلم المعماري على شكل مستطيل بأبعاد(٢٨-٤٠ متر) شمال بجنوب، و(١٩-٦٠ متر) شرق بغرب، أسسه الشيخ محمد بن سعيد بن محمد بن سالم باوزير، بنى المسجد في بداية القرن الثامن الهجري، ويعد هذا المسجد من المساجد ذات النمط المعماري المميز ذو السقف القبّي، دون الاستعانة بالأخشاب في سقفه، ونظرًا لقِدم هذا المعلم المعماري الديني، فهو بحاجة للعناية والترميم، وبالفعل بذلت جمعية أنصار الثقافة والتراث بغيل باوزير

[١٧] بن هاوى، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، ص٢١-٢٥

المنارة للاستشارات
www.mar

مساعيها لحماية هذا الإرث الديني والحفاظ عليه، والسعي لدى الجهات المختصة، وخاصة السلطة في محافظة حضرموت للقيام بترميمه، والحفاظ عليه من الاندثار[١٨].

وفي العام ٢٠١٥م، عام الحرب التي أشعلها الحوثة في البلاد، وانهيار الدولة، وخضوع حضرموت لسيطرة القاعدة في هذه الفترة، تعرض هذا الإرث الحضرمي المعماري الفريد للاعتداء من قبل جماعات مجهولة وتم هدمه بالكامل (شكل(٩) جامع النقعة قبل وأثناء الهدم).

- **أضرحة غيل باوزير وقبابها:**

في حضرموت عامة وغيل باوزير خاصة انتشرت القباب الدينية كقباب المساجد والأضرحة، وقد تعرض كثير منها للإهمال والعبث ربما عن قصد أو عن غير قصد، بل أن كثيرًا من تلك القباب آلَ مصيرها إلى الاندثار جراء هدم المساجد؛ لغرض توسعتها وتعميرها على الطراز المعماري الحديث، أما قباب الأضرحة فلعل الكثير منها نجدها عُرضة للإهمال والعبث خاصة في ظل ما يقال حولها من أقاويل كتحريم زيارات الأضرحة وغير ذلك، وقد تميزت غيل باوزير بهذا النمط المعماري الديني(القباب)، وظل كثير من هذا الإرث المعماري صامدًا ولو أن بعضها في حالة سيئة يستغيث.[١٩]

وهكذا ظل خطر الانهيار والطمس يتهدد هذه الإرث الديني، حتى وقع فريسة للتدمير والاندثار في فترة حكم القاعدة(٢٠١٥م)؛ حيث تم هدم كامل قباب وأضرحة غيل باوزير، والزائر اليوم لهذه المدينة سيراها خالية من هذا النمط المعماري الديني المقبّب (شكل(١٠) قباب وأضرحة من غيل باوزير قبل الهدم).

---

[١٨] سالم عبد الله العطيشي، ٢٠٠٧م،" مسجد جامع النقعة"، مجلة التراث، العدد(١٤)، مطابع وحدين- المكلا، ص٢٠.

[١٩] بن هاوى ، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، ص١٦٥-١٦٦

المنارة للاستشارات
www.mar

التوصيات والمقترحات:

إن التراث المعماري العدني والحضرمي في خطر حقيقي، وإن لم يتم تدارك ما يحدث له فسوف يكون عُرضة للاندثار، ولعل عدن نموذجًا حيًا لذلك؛ إذ تعرض كثير من إرثها المعماري للاعتداء والطمس خاصة في أثناء حرب ٢٠١٥م وبعدها، لذا لابد من السعي الحثيث على المستويات جميعها للمحافظة على هذا التراث المعماري والعمراني وإلا سيندثر خلال سنوات قليلة .. لذا تأتي توصياتنا ومقترحاتنا في السياق كالآتي:

- الدعوة للحفاظ على التراث العمراني المتنوع في عدن وكذا الإرث الحضرمي المتنوع، وخاصة العمارة الدينية؛ لأن ذلك يعني الحفاظ على الهوية الثقافية والعمرانية.

- تطوير وتفعيل القوانين والأنظمة لحماية التراث العمراني.

- دعوة المؤسسات والمراكز الموجودة على الصعيد العربي والدولي للمساعدة في إنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث العمراني وترميمه بطرق علمية معاصرة.

- دعوة الجامعات والمؤسسات والمراكز الموجودة على الصعيد المحلي في المساهمة في كيفية الحفاظ على التراث المعماري وحمايته وترميمه .. كالهيئة العامة للسياحة والآثار والمتاحف بعدن، والأقسام والمراكز العلمية بجامعة عدن كقسم العمارة بكلية الهندسة وأقسام التاريخ والآثار.

- دور المجتمع وفعاليته في الحفاظ على تراث اجداده من عبث الإنسان وغدر الزمان، لان الحفاظ على هذا التراث يعني الحفاظ على ذاته وهويته.

المنارة للاستشارات
www.mar

المصادر والمراجع:

١- أحمد صالح رابضة، ٢٠١١م،"المؤسسات الدينية والتعليمية ومؤثراتها الثقافية والاجتماعية في مدينة عدن القديمة ما بين القرن ٢-١٠ الهجريين"، كتاب الندوة العلمية(عدن بوابة اليمن الحضارية)، دار جامعة عدن، ص٢٠٣-٢٢٧.

٢- بلال غلام حسن، ٢٠١٣م، زوايا من تاريخ ولاية عدن(١٨٣٩-١٩٦٧م)، ط٢، جرافيك للطباعة والإعلان، عدن- خورمكسر.

٣- جمال عليان، ٢٠٠٥م، الحفاظ على التراث الثقافي، كتاب سلسلة عالم المعرفة، العدد(٣٢٢)، وزارة الثقافة، الكويت.

٤- حامد عبد القادر بافقيه، ٢٠١١م، "التسامح الديني في عدن"، كتاب الندوة العلمية(عدن بوابة اليمن الحضارية)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ص١٣٩-١٤٩.

٥- حسن نعيرات، ٢٠١٤م، "واقع التراث المعماري الفلسطيني بين التدمير والتزوير" من كتاب المؤتمر الدولي للعمارة والفنون الإسلامية، ط١، دار جامعة صنعاء، ج١، ص١٣٥-١٦٢.

٦- سالم عبد الله العطيشي، ٢٠٠٧م،" مسجد جامع النقعة"، مجلة التراث، العدد(١٤)، مطابع وحدين- المكلا، ص٢٠-٢٢.

٧- فرج الله أحمد يوسف، ٢٠٠٧م، آثار فلسطين والعراق، الطبعة الأولى، القاهرة.

٨- محمد بن هاوي باوزير، ٢٠١٤م، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، ط١، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن.

٩- محمد بن هاوي باوزير وعبد الله سعيد بن دحمان، ٢٠١٠م، مدينة العرفان .. غيل باوزير، ط١، دار جامعة عدن للطباعة النشر، عدن.

١٠- محمد زكريا، ١٩٩٨م، مساجد عدن- نشأتها- تطورها وخصائصها، ط١، مركز عبادى للدراسات والنشر، عدن.

١١- محمود البنا، ١٩٩٣م،"تحديد ملامح أصالة التراث المعماري مدخل ضروري لصيانته- تطبيقًا على صنعاء القديمة، مجلة كلية الآداب، العدد(٢٨)، جامعة صنعاء، ص١١٠-١٣٢.

١٢- المرصد الافريقي- عين على الأحداث، مارس ٢٠١٨م، نشرة أسبوعية خاصة من بوابة أفريقيا الأخبارية، العدد(١٨)، ليبيا.

المنارة للاستشارات
www.mar

١٣- مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، يناير ٢٠١٧م، حلقة نقاش بعنوان"آثار ومعالم عدن التاريخية تستغيث"؛ وفي أبريل ٢٠١٨م، حلقة نقاش بعنوان"آثار ومعالم عدن التاريخية أثناء وبعد حرب ٢٠١٥م"(WWW.Aden.Center).

١٤- مركز القانون الدولي الإنساني(IHLC)، أبريل ٢٠١٨م، طرابلس- ليبيا(WWW.Ihic.Org.ly).

١٥- الندوة العلمية، يناير ٢٠٠٨م،"العمارة اليمنية وتحديات العصر"، وفي كتاب الندوة، دار جامعة عدن، عدن؛ والجمعية اليمنية التاريخية، أغسطس ٢٠٠٨م، ورشة عمل بعنوان"عدن محمية تاريخية".

المنارة للاستشارات
www.mar

صور التراث المعماري العدني:

شكل(١) المتحف قبل الحرب وبعدها

المنارة للاستشارات
www.mar

شكل(٢) مبنى الرصيف قبل الحرب وبعدها.

المنارة للاستشارات
www.mar

شكل(٣) شرطة الشيخ عثمان قبل السطو وبعده.

المنارة للاستشارات
www.mar

شكل(٤) وضع كنيسة سانت جوزيف.

المنارة للاستشارات
www.mar

شكل(٥) مبنى مسجد حامد قبل التغيير وبعده.

المنارة للاستشارات
www.mar

شكل(٦) مسجد الخوجه قبل الحرب وبعدها.

المنارة للاستشارات
www.mar

شكل(٧) مبنى مدرسة جبل حديد.

المنارة للاستشارات
www.mar

البناء العشوائي في صهاريج عدن.

الزحف العشوائي على ساعة بيج بن التواهي.

المنارة للاستشارات
www.mar

صور التراث المعماري في حضرموت:

شكل(٨) ضريح الشيخ يعقوب وقبته قبل الهدم وبعده.

المنارة للاستشارات
www.mar

شكل(٩) جامع النقعة قبل عملية الهدم.

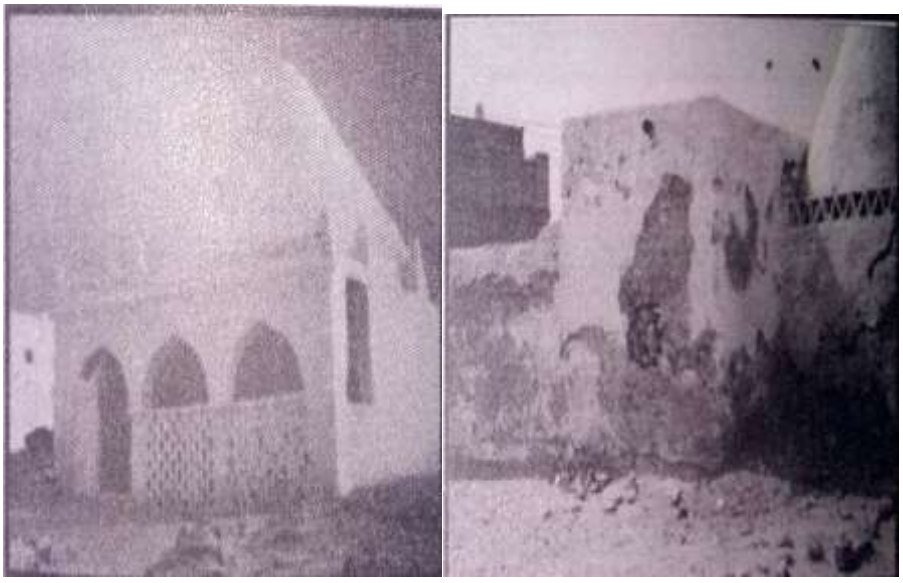

قبة مولى الربع وضريحه　　قبة مولى الجيش وضريحه

شكل(١٠) قباب وأضرحة من غيل باوزير قبل الهدم.

المنارة للاستشارات
www.mar

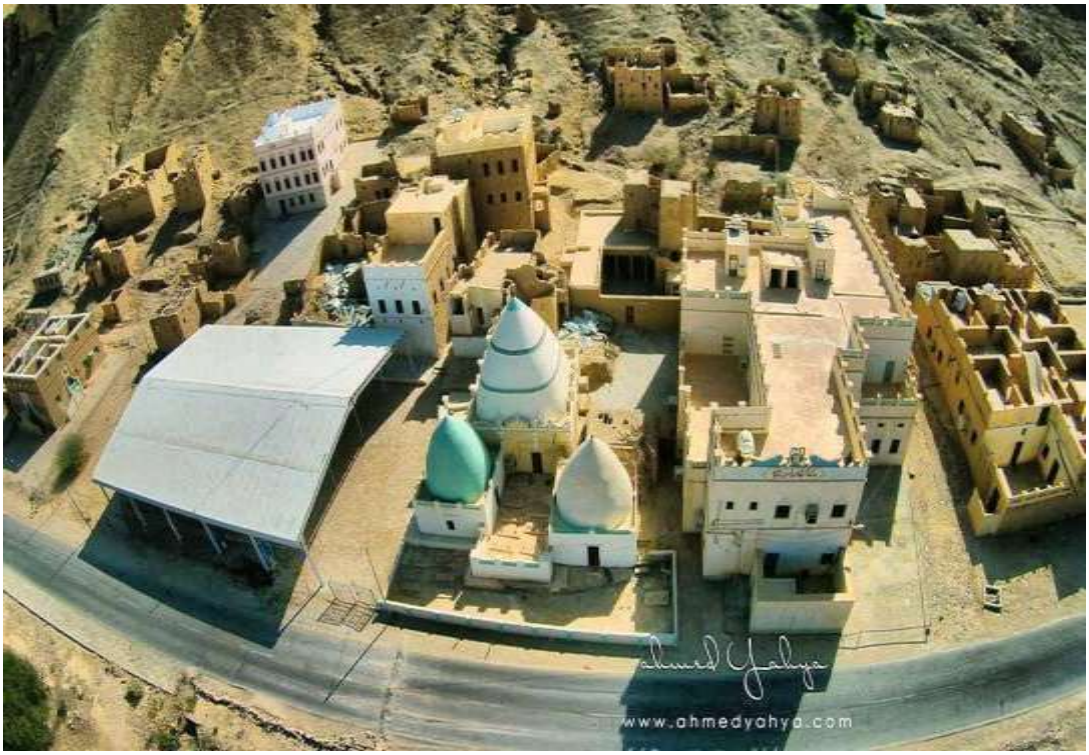

المشهد (أضرحة آل العطاس وقببهم)، تقع أول وادي دوعن (حضرموت).

المنارة للاستشارات
www.mar

The Status of Architectural Heritage in Aden and Hadramout after the War of 2015
Between Disappearing and Destroying
A study of some cases … their features and how to restore and preserve them

***Dr. Mohammed Abdullah Bin Hawi Bawazeer*•**

Abstract:

The architectural heritage is the mirror which reflects the past and present of nations and peoples. The construction and reconstruction processes are the physical symbol of the human civilization and its spiritual symbol reflecting the culture and thought. There is no doubt that Aden and Hadramout are characterized by their rich heritage and their various forms of architecture، such religious، civilian and military ones. The aim of this study is to investigate the features of the architectural heritage and highlight its significance، and its bound to the history and identity of Aden and Hadramout. It also aims to show the factors that are threatened it of disappearing، and reveal the destruction that architectural heritage has been exposed to، and what it is currently being endangered (after the war) of tampering and neglect intentionally or unintentionally. The study shows the ways to preserve architectural heritage as an important part of the cultural heritage، because disappearing of such a heritage means the loss of the history and the identity.

In this context، the study aims to display the status of endangered architectural heritage due to the wars and other factors، and reveal how to protect، restore and preserve them. It also aims to pay the attention of the local and central authority and other parties concerned in our country to take care of such a heritage and protect and preserve it.

Key words:

architectural heritage، appeal to، risk assessment، ways of protection

•***Associate Professor of the Ancient History of Yemen and the Arabian Peninsula University of Aden*** Mabawazir@hotmail.com

المنارة للاستشارات

www.mar